علم النور
illuminology

مجلة إلكترونية في التنمية البشرية
إصدار: مركز عالم النور للتكامل
البريد الالكتروني:
illuminology14@gmail.com
سلطنة عمان

العدد (21) شهر شعبان 1441هـ
الموافق: ابريل 2020م

النتيجة تتبع مقدماتها:

إن بناء الإنسان المعرفي منتج سلوكاً مساوقاً لذلك البناء، فما لم يعمل الإنسان على بناه المعرفي بجد، ولم يعمل على الاختيار الصحيح وفق مصالح "الاحتياج الذاتي" -الفردي والجمعي-، فإن مسلكه سوف يؤثر سلباً على ما يحيط به من الكائنات، وعلى ما يسعى لبنائه من البناء التنموي وعلى كافة الأصعدة والمستويات.

فلإنتاج صحيح ينبغي العمل على ذات الإنسان، وعلى تعرفه بحقيقة نفسه، ومما تتركب، وعلى كيفية إدارتها لمواردها، وكيفية العمل على إيصالها إلى مقام القيادة الصحيحة لها.

ولا شك أن "فاقد الشيء لا يعطيه"، فعلى أي مدرسة يمكن الاعتماد عليه لأجل معرفة سبيل التعرف على النفس؟!.

وعلى أي مشروع يمكن الاعتماد عليه لتحديد الهدف والغاية والمنهج؟!.

ثم تأتي مرحلة البرنامج الذي يمكنه أن يكون هو المتعين في تحقيق مشروع البناء التنموي.

من هنا سوف يتوجه الكلام إلى معرفة هذا الإنسان أولاً، وبعده سوف يتحدد المسار لمعرفة البرنامج بل والمشروع المناسب اعتماداً على مبدا "الاحتياج الذاتي"، ومن خلال هذا المبدأ سوف يتضح حال المدارس الأخرى والبرامج التي تقدم نفسها كمقدم لعلاج المشكلة الإنسانية والبشرية، وما أكثرها اليوم!.

وغاية ما يُطلب من الناس هو "الانصاف" و"الموضوعية" في البحث والقرار.

محتوى العدد

PG. 1
النتيجة تتبع مقدماتها.

PG. 2
النفس والطبيعة الوجودية.

PG. 3
معرفة النفس والتنمية.

PG. 4
قوى النفس والتنمية.

PG. 5
إدارة موارد القوى النفسانية.

PG. 6
انفوجرافيك القوى الأربعة.

النفس والطبيعة الوجودية:

إن طبيعة المعرفة طبيعة "تشابكية" وإن ظهرت في كثير من الأحيان كحلقات أو مربعات مستقلة وكيانات أحادية، وهذه الحقيقة التشابكية لا يعيها الكثير من الناس، ولربما يصل المرء إلى مراحل أكاديمية عالية ويتثقف بثقافات عديدة وهو لا يعي ولا يعرف تلك الحقيقة العظمى، فإن وعي تلك الحقيقية قد لا يتسنى للجميع، والعلة قد تكون في انشغالهم في شؤون حياتهم الشخصية، وعدم اكتراثهم لمثل تلكم المسائل.

طبعاً إن طبيعة الخطاب العقلي والروحي غير المنتج يساهم في ركود الحالة البحثية لدى الناس، ولا يتوجه إلى ضرورة تنبيههم إلى المخاطر المنطوية على عدم الفهم للمنظومة الوجودية التي ينتمون إليها، وعلى عدم المشي وفق برنامجها، بل وتكاد تجزم أن الكثير يظن أن العالم يحمل الكثير من العشوائية، ولهذا يرى عدم الجدوى من الدخول في مسائله والاقتصار على ما يدور في فلك حياته الشخصية، ومحيطه الخاص.

ومن تلك المسائل التي لها ترابطاً شبكياً بالمنظومة الوجودية والتي لها التأثير على المنظومات الإنسانية المجتمعية كلها هي مسألة "النفس"، وقد حاولت الكثير من المدارس الولوج إليها بمختلف الطرق والبرامج، ولكن الذي نشاهده فيها أنها تنظر إليها نظرة استقلالية عن سائر شؤون الحياة ومنظومتها، وهذا ما أثر على طريقة قراءة هذه النفس، وعلى طريقة معالجتها، وبتعبير آخر أثر على طريقة معرفتها.

وبالنظر إلى المدارس المتوفرة على وجه الأرض، وبالبحث عن مدرسة تحمل للبشرية المشروع الوجودي، وتقدم إليه البرنامج التوفيقي بين متطلبات ذات الإنسان وبين متطلبات ذات الكائنات التي من حوله فإننا لن نجد مدرسة وضعية تحمل صفات الشمولية، ولا أقل أن تكون مناغمة للمنظومة الوجودية.

ولكن "لو خُلِيَتْ لَفُنِيَت"، فإن هناك مدرسة واحدة تحمل الحزمة المتكاملة، وتناغم مفرداتها جميعاً المنظومة الوجودية، بل إن كل مفاهيمها منتزعة منها، مستندة عليها، راجعة إليها، ونجد مشاريعها المقدمة للإنسان وكذا برامجها تنسجم وتتناغم وتتلائم والاحتياج الذاتي له، بل ولسائر الكائنات، وما هذه المدرسة سوى "مدرسة الإسلام"، ولا غرابة في ذلك لأنها المدرسة الوحيدة التي تأسست على يد القدرة الإلهية، ووضعت معالمها الأساسية بل وحتى التفصيلية على معطيات الوجود، ولهذا تحتل هذه المدرسة موقعاً يفهم الرابطة التشابكية بين كل شيء، وقد جعلت الهدف الأساسي للبناء "النفس البشرية".

معرفة النفس والتنمية:

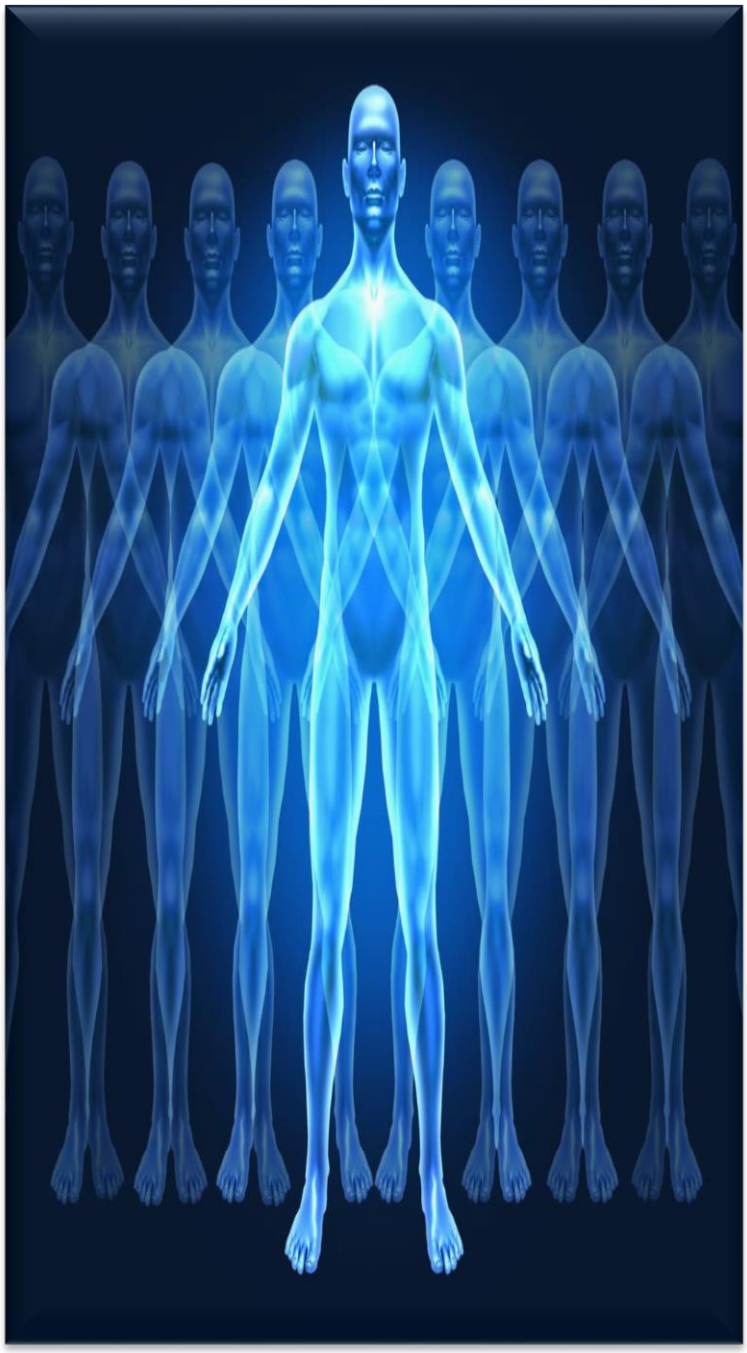

أولاً وقبل كل شيء من المهم أن نعرف أن هناك تعاريف كثيرة للنفس، وهو ما أثر في تحليلها وتفسيرها وتفسير مظاهرها ومخرجاتها فضلاً عن مدخلاتها وعملياتها، فهل هي "الروح"، أو هي "القوى الثلاث: الشهوية والغضبية والوهمية"، أم هي "الدم" كما هو الحال في إطلاقات العلوم الفقهية، أم هي "الإنسان الكامل جسداً وروحاً"، أم هي شيء آخر!، نعم للنفس استعمالات عدة في اللغة وفي القرآن الكريم، ويمكن معرفة المراد منها من خلال السياق، وقد صرح البعض أن استعمالات النفس بلغت أكثر من ثلاثمائة مورد.

لا يهمنا هنا الدخول إلى سكك هذه التعاريف، والذي يهمنا في المقام هو أن نعرف أن النفس مادة قابلة لما يرد عليها من المحاسن والمفاسد، وهي وأوصافها من المجردات، ولها حركة ذاتية طبيعية استكمالية، ولها مراتب من الدرجات وكذا الدركات، كما أن لها تأثيراً على عاقبتها ومصيرها، ولها في الوقت نفسه ظهورات حسبما تمليه طبيعة العوالم التي تظهر فيها هذه النفس وملكاتها.

وما لم ينظر إليها نظرة صحيحة، وما لم يُعامل معها معاملة بالنحو الذي ينبغي فإن صاحبها سوف يخطو خطواته على طريق الخراب والدمار والهلاك، ولكي يكون الإنسان منتجاً إيجابياً فعليه العمل على تنميتها تنمية إيجابية، والعمل وفق مقتضياتها الطبيعية الذاتية، والتي تحدد وبشكل تلقائي احتياجاتها الناشئة من صميم تركيبتها الوجودية.

والصفة التي تكتسبها النفس ليست واحدة، بل متعددة، وهي تتبع الملكات الإنسانية التي يكون عليها، ولعدة أسباب –سنأتي على ذكرها في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى- تعد هذه النفس من أخطر الأعداء على صاحبها، ومن هنا كان من الضروري الانتباه إليها، وعدم الغفلة عنها بأي حال من الأحوال، بل ولا لحظة من اللحظات، نظراً إلى أن الغفلة عنها سوف يوجب وقوع صاحبها فيما لا تحمد عواقبه.

ومن هنا كان من المهم البحث عن تنميتها وكيفية ذلك، وما يؤثر فيها سلباً، وكيفية الحفاظ عليها والاستفادة منها بأقصى حد ممكن.

قوى النفس والتنمية:

نجد هناك من الأعلام قد تعرض لذكر ما يتركب من الإنسان من القوى النفسانية، فعلى سبيل المثال لا الحصر: العلامة العيني في عمدة القارئ، فبرغم أنه كتاب فقهي إلا أنه ذكر تلك القوى، وحصرها في ثلاث، وكذا العلامة المناوي في فيض القدير في شرح الجامع الصغير، والعلامة الاصفهاني في مفرداته، وفخر الرازي في تفسيره، وكذا العلامة البيضاوي في تفسيره، والعلامة أبو السعود في تفسيره، والعلامة الآلوسي في تفسيره، وفصل بعض الأعلام الحديث عن تلكم القوى فصنف كتباً في هذا، فمنهم: العلامة النراقي في كتابه جامع السعادات، وتناول البعض من بعد فلسفي فعقد باباً في علم النفس الفلسفي وتعرض لها بشكل علمي دقيق من قبيل العلامة صدر الدين المعروف بملا صدرا في كتابه الحكمة المتعالية.

فلدى تحليل الإنسان وما يصدر منه من الصفات سواء الفضيلة أو الرذيلة فقد انتهى الأعلام إلى القول بأن الإنسان فيه نفس واحدة، وهي بسيطة، وفي عين بساطتها تنشأ منها مجموعة من الأفعال والصفات، فهي كل القوى التي تظهر منها وتتجلى، ولأهمية هذا المطلب فقد صنفت في هذا المجال الكثير من المصنفات لأجل العمل بعد ذلك على اختيار المنهج الذي ينبغي أن ينزل إلى ساحة الإنسان لمساعدته على تربيته وتنميته ليصبح إنساناً صالحاً إن شاء الله تعالى، وهذا لا يعني أن هذا المنهج يقع في عرض المنهج السماوي، بل هو في الحقيقة منتزع من كلماته، ومتصيّدة من النصوص الشريفة.

ولهذا قالوا ان من جملة ما يتكون منه الإنسان هو أنه يتركب من أربع قوى أساسية وهي: "القوة العقلية"، "القوة الغضبية"، "القوة الشهوية"، "القوة الوهمية"، وقالوا فيها أن جميع الصفات من الفضائل والرذائل منشؤها هذه القوى الأربع.

غير أن بعض الأعلام ذهب إلى أنها تنتهي إلى ثلاث وليس أربع، لأنه نظر إلى القوة الوهمية من نتائج ضعف القوة العقلية، وعلى كل حال فإن هذا التفصيل لا يهمنا هنا، وسوف يتضح لنا لاحقاً إن شاء الله تعالى الفرق بينها،

إدارة القوى النفسانية:

وبالتأمل البسيط الساذج الأولي نجد أن هذه الصفات بذاتها تحتاج إلى: أولاً: المعرفة، وإدارتها.

ثانياً: إدارة القوى الأربع.

ثالثاً: التنمية والتزكية بحسب طبيعتها الصناعية الوجودية.

ولا يمكن للإدارة ولا للتنمية أن تتحقق كما ينبغي من دون معرفة، وهنا المعرفة لهذه القوى ضرورية جداً، لأن النجاح على مستواها يحقق النجاح على المستوى السلوكي الفردي والاجتماعي، وإلا فإن النجاح حليفه الفشل، ولنتعرف على كل واحدة من تلكم القوى النفسانية، ثم ننظر إلى المشتركات بينها، ثم نعرج إلى كيفية حركتها ليتسنى لنا إدارتها، ثم العمل على تنميتها بمعرفة أدواتها وطرقها إن شاء الله تعالى.

ولكن تجدر الإشارة قبل ذلك إلى أن هذه القوى قد صنعت بنحو كل لها اختصاصاً خاصاً لا يشاركها غيرها من القوى الأخرى فيه، فهي أدوار وزعت، ولهذا يصدق عليها عنوان "إدارة موارد القوى النفسانية".

وسوف تتضح الصورة بشكل جيد إن شاء الله تعالى فيما سيأتي من الأعداد، وهذا يعني أن توزيع الأدوار في هذه النفس دقيقة جداً، ويبين عدم القدرة على الاستغناء عن أي منها، بل يدعونا الأمر إلى ضرورة التعامل مع كل شيء فيها بحكمة.

إن معرفة القوى التي تتركب منها النفس البشرية أمر مهم جداً حيث يتوقف عليها تمكين الإنسان من إدارة ذاته بالشكل المطلوب لأن نجاح التجربة البشرية على مستوى السلوك الاجتماعي والفردي مرهون بنجاح هذا الإنسان على مستوى ذاته وإدارتها وقيادتها، وأي خلل على هذا المستوى سوف يؤدي إلى ظهور خلل على المستوى الخارجي وهو مستوى السلوك الفردي والاجتماعي.

من جهل نفسه

كان بغير نفسه أجهل

انفوجرافيك القوى الأربعة للنفس البشرية

تبين هذه اللوحة الصورة الاجمالية للنفس والقوى الأربعة

وهي تلخص البحوث القادمة إن شاء الله تعالى

كما أننا نلفت انتباه الصديق المتابع لإصدارات مركز عالم النور للتكامل أننا تطورنا اللوحة عما كانت عليه سابقاً في أولى إصداراتها، تتميماً للفائدة